

ميدل إيست آي: ما الذي يمكن أن يخبرنا به "فرانتز" فانون عن الحرب الاستعمارية الغربية في غزة؟

السبت 3 فبراير 2024 11:51 م

لا يزال تحليل الكاتب الرائد المناهض للاستعمار ذا صلة بالحرب الدائرة في غزة اليوم. يوضح موقع "ميدل إيست آي" التشابه بين حرب تحرير الجزائر وسلوك الغرب اليوم الكثيرة فيما يتعلق بحرب غزة. وقال الموقع: "في كتابه المؤثر 'معذبو الأرض'، ربما كان 'فرانتز فانون' يكتب عن غزة عندما قال: 'في كل الصراعات المسلحة، هناك ما يمكن أن نسميه نقطة للعودة' دائمًا ما يتم تمييزه بقمع ضخم وشامل يجتاح جميع قطاعات الشعب المستعمر". وتابع: "وفي إسرائيل وغزة والضفة الغربية، وصلت تلك النقطة. ومن غزة إلى البحر الأحمر، وعلى كافة الجبهات، أصبح الغرب الآن مكشوفًا باعتباره آلة قتل خارجة عن القانون تخشى فقدان السيطرة".

الإبادة الجماعية والمعاجة والحرب، التي يتم الدفاع عنها بخطاب دبلوماسي مزدوج على المستوى الأولمبي، هي الإجابات الوحيدة على حقيقة أن الجنوب العالمي ودول الشرق الأوسط (إن لم يكن قادتها) لم تعد ترغب في العيش تحت هيمنة الولايات المتحدة. كتب "جان بول سارتر" في مقدمته لكتاب "فانون"، عن الاستعمار الغربي: "إن ميكافيليتنا لا تملك إلا القليل من التأثير على هذا العالم اليقظ الذي ألقى بأكاديبنا إلى الأرض واحدة تلو الأخرى. ولا يلجأ المستوطن إلا إلى شيء واحد: القوة الغاشمة... وليس أمام المواطن إلا خيار واحد، بين العبودية والسيادة".

كان "فانون" مفكرًا ثوريًا وطبييًا نفسيًا ممارسًا للعنصرية الاستعمارية وتأثيرها النفسي على المستعمر والمستعمر. كان هو و"سارتر" يكتبان عن هزيمة فرنسا الوشيكة في الجزائر بعد سبع سنوات من الحرب الوحشية.

وقد يبدو من السخف بعد مرور أربعة أشهر فقط على هذه الحرب أن نقول إن الإمبراطورية الأنجلوسكسونية التي تقودها الولايات المتحدة تواجه الهزيمة هي الأخرى. لقد كشفت الحروب في أوكرانيا وغزة حدود القوة الغربية، ونهجاها ذي الوجهين تمامًا تجاه القانون الدولي وقوانين الحرب؛ فروسيا متهمه بارتكاب جرائم حرب في أوكرانيا، في حين يتم دعم حرب الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل في غزة بكل الوسائل الضرورية، حتى في مواجهة الحكم المؤقت الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في لاهاي ضد إسرائيل بشأن الإبادة الجماعية المستمرة التي ترتكبها.

القرار، الذي جاء في أعقاب هذا الحكم التاريخي، بسحب التمويل لوكالة اللاجئين الفلسطينية الأونروا من قبل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وعشرات من حلفائهم معظمهم أوروبيون، هو خطوة سافرة ومخزية لتجويج الفلسطينيين وإجبار حماس على الاستسلام، وهو أمر محظور. باعتبارها جماعة إرهابية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد الأوروبي.

وقف تمويل الأونروا بشكل وحق ومع تعليق التمويل للأونروا - هيئة المساعدات الرئيسية التي تساعد الفلسطينيين - استنادًا إلى مزاعم إسرائيلية غير مثبتة، تعتقد إسرائيل أنها فازت بجائزة كبيرة من حلفائها الغربيين، الأمر الذي من شأنه أن يجعل الوضع الكارثي في غزة أسوأ. وكل هذا يهدف إلى فرض ضغوط لا يمكن تصورها على الفلسطينيين وإرغام حماس على الموافقة على تبادل الرهائن. وبالنسبة لوزراء "بنيامين نتنياهو"، فإن وقف تمويل الأونروا يمكّنهم من المرحلة التالية من حربهم، والتي، كما أظهر المؤتمر الأخير حول غزة في إسرائيل، هي تحقيق هدفها المتمثل في التطهير العرقي وإعادة التوطين في القطاع.

الحصار الذي فرضه الحوثيون على السفن المتجهة إلى إسرائيل عبر البحر الأحمر هو الأول في التاريخ الذي يتم فرضه بدون قوة بحرية. ورأى "ميدل إيست آي"، أنه بينما يشير كل هذا على الورق إلى أن إسرائيل وحلفائها يتمتعون بميزة ساحقة على حماس وحلفائها في المنطقة، ونظرًا لقوة النيران العسكرية والإرهاب المالي المتجمع ضدهم، فإن الموقف أقل ودية بالنسبة للمحور الغربي مما قد يبدو. وكما أوضح خبير الاقتصاد "فيليب بيلكينجتون" مؤخرًا، فإن الحصار الذي فرضه الحوثيون على السفن المتجهة إلى إسرائيل عبر البحر الأحمر، والذي فرضته منذ نوفمبر، هو الأول في التاريخ الذي يتم فرضه بدون قوة بحرية.

إنها استراتيجية مقاومة غيرت قواعد اللعبة، ردت عليها الولايات المتحدة وحلفاؤها بضربات جوية ضد أهداف يمنية، وإسقاط طائرات الحوثيين المسيرة. وبدلاً من التراجع، كان رد فعل الحركة اليمنية على ذلك هو التحدي والتعبئة الجماعية للملايين من أنصارها في شوارع صنعاء والمدن الأخرى.

ويشير هذا إلى مشكلة أكبر، والتي كشف عنها أيضًا هجوم الطائرات المسيرة هذا الأسبوع على قاعدة أمريكية على الحدود السورية الأردنية. إن القوى الرئيسية التي تقاوم الولايات المتحدة وإسرائيل تتألف من جهات فاعلة غير تابعة لدولة ذات دوافع عالية، وليست الديكتاتوريات الضعيفة التي هاجمها محور الإمبراطورية الغربية في الماضي.

تمكنت قوة الغزو التابعة للرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" من الاستيلاء على بغداد في غضون أسابيع في عام 2003، معلنة إنجاز المهمة في الأول من مايو 2003 (لكنها فشلت في تأمين البلاد في السنوات التالية). لقد استغرق حلف شمال الأطلسي حوالي سبعة أشهر لمطاردة معمر القذافي في ليبيا، عندما قتلته قوات المتمردين في خندق في عام 2011. وعلى النقيض من ذلك، حارب حزب الله إسرائيل حتى التوقف التام في لبنان على مدى شهر واحد في عام 2006.

كما كتب "بيلكينجتون"، مؤسس برنامج Multipolarity، هذا الأسبوع أن الدعم الغربي لأوكرانيا يمر بمرحلة حرجة، ومن هنا جاءت بعض الأحاديث الأكثر إثارة للقلق من العواصم الغربية، "الغرب في وضع محفوف بالمخاطر للغاية في الوقت الحالي. إن المجهود الحربي الذي ألقى بكمية هائلة من الموارد خلف أوكرانيا أصبح على وشك التفكك".

وزير الدفاع البريطاني السابق وصقر الحرب "توبياس إلوود" لقناة سكاى: "هناك شعور عام 1939 في العالم الآن". وهو ما يعكس وجهة نظر غربية مشتركة لما يحدث: "هذه الدول الاستبدادية تعيد تسليح نفسها. وهناك نفور من المخاطرة بشأن رغبة الغرب في التعامل مع ذلك، ومؤسساتنا العالمية، مثل الولايات المتحدة، غير قادرة على محاسبة هذه الدول الضالة".

وبينما يرى "إلوود" أن الغرب يتجنب المخاطرة، فإن بقية العالم يرى الولايات المتحدة وحلفائها في حالة هياج، يتحدثون محكمة العدل الدولية، ويجوعون المدنيين المحاصرين في غزة، ويقصفون واحدة من أفقر البلدان على وجه الأرض.

وتشن الولايات المتحدة وبريطانيا حربًا في البحر الأحمر بضربات ضد اليمن ردًا على الحصار البحري الذي تفرضه على السفن الإسرائيلية منذ الضربات، أعلن الحوثيون أنهم سيستهدفون الشحن البريطاني والأمريكي
والمح "ميدل إيست آي"، إلى أنه بغض النظر عن عدد المرات التي ينفي فيها الساسة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة أن الحوثيين يفعلون ذلك من أجل الفلسطينيين في غزة، فإن هذه هي الطريقة التي يرى بها بقية العالم الأمر وبفضل وسائل التواصل الاجتماعي لا يمكن حجب تصريحات اليمنيين

مخاطر التصعيد

كل يوم يحمل معه مخاطر تصعيد جديدة ويدفع أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي الآن الرئيس "جو بايدن" لهجوم إيران، بعد مقتل ثلاثة جنود أمريكيين في قاعدة على الحدود السورية في غارة بطائرة مسيرة تبنتها ميليشيا عراقية
ومن خلال دعم أوكرانيا، وربما حتى الانضمام إلى الحرب، يخطط الغرب لحرب عالمية ثالثة إن روسيا تقابل على حدودها، ويستطيع بوتين أن يصور الحرب وكأنها معركة وجودية ضد عدوها الأبدية، الغرب، والتي يبدو أن الروس يتصرفون فيها الآن
والقوى الغربية متورطة في صراعات على بعد آلاف الأميال من أوطانها، كما كان الحال في زمن "فانون" في الجزائر والكونغو الصينية
وكما قال عضو جماعة الحوثي "محمد البخيتي": "إن الحرب اليوم هي بين اليمن الذي يكافح من أجل وقف جرائم الإبادة الجماعية، والتحالف والبريطاني الذي يرضى مرتكبيه كل حزب أو فرد في هذا العالم أمامه خياران لا ثالث لهما مع من تساند وأنت تشاهد هذه الجرائم؟
وافق "فانون"، الذي كتب قبل 63 عامًا، على ما يلي: "العالم الاستعماري هو عالم مانوي... في بعض الأحيان تصل هذه المانوية إلى نهايتها المنطقية وتجرد المواطن الأصلي من إنسانيته، أو إذا تحدثنا بصراحة، فإنها تحوله إلى حيوان يُعلن أن المواطن الأصلي غير حساس للأخلاق؛ إنه لا يمثل غياب القيم فحسب، بل إنكارها إنه عدو القيم، وهذا المعنى هو الشر المطلق". وتابع: "المواطن يعرف كل هذا، ويضحك على نفسه في كل مرة يرى فيها إشارة إلى عالم الحيوان في كلمات الآخر لأنه يعلم أنه ليس حيوانًا، وفي اللحظة التي يدرك فيها إنسانيته، يبدأ في شحذ الأسلحة التي سيحقق بها النصر".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/what-frantz-fanon-can-tell-us-about-wests-colonial-war-gaza>